

مكانة الدين فلاح المجتمع وعلاقتة بالثقافة

د. بن أحمد نورين فؤاد

جامعة يحي فارس المدية-الجزائر

ملخص:

يعتبر الدين عبر كل الأزمنة المحرك الأساسي للمجتمعات مهما كانت طبيعته الوجودية (نقصد بذلك منشأ الدين سماوي أو وضعي) فضرورة الدين في المجتمع من ضرورة الاجتماع نفسه أي لا يحدث الاجتماع (وجود مجتمع من غير دين) فالاجتماع لا يكون إلا عن طريق الدين، من خلاله يتم تفسير وتقبل الرموز والسلوكيات والعلاقات الاجتماعية وحتى الثقافة لا يمكننا أن نتصور وجودها بدون الفكرة الدينية، فالعلاقة بين الدين والثقافة علاقة تأثير وتأثر في نفس الوقت ، والمجتمع يستمد وجوده وفق تلك المعتقدات الدينية والتفسيرات العقائدية للوجود والفناء على حد سواء؛ ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث لينظر في المكانة الحقيقية للدين في المجتمع، وكذا الدور أو العلاقة المتبادلة بين الدين والثقافة في عملية صيرورة المجتمعات و تطورها وحتى اندثارها.

Abstract:

Religion is through all times the primary engine of societies, whatever the nature of the existential (we mean the origin of a heavenly religion or my status) The necessity of religion in society of the need for the same meeting, which does not happen the meeting (the existence of a community of non-religion) sociology can only be through religion, through which are interpreted and accepted symbols, behaviors, social relations and culture so we can not imagine their existence without the religious idea, the relation between religion and culture related to the influence and impact at the same time, the community derives its existence according to the religious beliefs and interpretations of ideological existence and non existence; and from this standpoint this came to search for the consideration of the true status of religion in society, and as well as the role or mutual relationship between religion and culture in the process of becoming societies and their development and even extinction.

تمهيد:

يعتبر الدين عبر كل الأزمنة المحرك الأساسي للمجتمعات مهما كانت طبيعته الوجودية (نقصد بذلك منشأ الدين سماوي أو وضعي) فضرورة الدين في المجتمع من ضرورة الاجتماع نفسه أي لا يحدث الاجتماع (وجود مجتمع من غير دين) فالاجتماع لا يكون إلا عن طريق الدين، من خلاله يتم تفسير وتقبل الرموز والسلوكيات والعلاقات الاجتماعية وحتى الثقافة لا يمكننا أن نتصور وجودها بدون الفكرة الدينية، فالعلاقة بين الدين والثقافة علاقة تأثير وتأثر في نفس الوقت ، والمجتمع يستمد وجوده وفق تلك المعتقدات الدينية والتفسيرات العقائدية للوجود والفناء على حد سواء؛ ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث لينظر في المكانة الحقيقية للدين في المجتمع، وكذا الدور أو العلاقة المتبادلة بين الدين والثقافة في عملية صيرورة المجتمعات و تطورها وحتى اندثارها .

قبل التفصيل في الموضوع لابد من تبين أو شرح وتحديد المفاهيم التي ذكرت في العنوان وهي أولا.

الدين: يعتبر الدين في غالب الأحيان هو الموجه للسلوك الإنساني أي أن سلوك الأفراد في المجتمع دائما أو غالبا ما يحدث تحت تأثير المفاهيم الدينية المسبقة التي يكتسبها الأفراد في حياتهم اليومية بصفاتهم أعضاء في المجتمع أو كما يسميها علماء الاجتماع عن طريق التنشئة الاجتماعية.

إن معنى كلمة دين >> التي تستعمل في تاريخ الأديان لها معنيان لا غير:

أحدهما: هذه الحالة النفسية التي نسميها التدين و **المعنى الآخر** تلك الحقيقة الخارجية التي يمكن الرجوع إليها في العادات الجارية أو الآثار الخالدة، أو الروايات الماثورة، و معناها جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم اعتقادا وعملا وهذا المعنى أكثر وأغلب>>⁽¹⁾.

فالدين >> هو ظاهرة مميزة لكل المجتمعات الإنسانية السابقة والحاضرة واللاحقة... الدين بصفته واقعة اجتماعية و بالتالي إنسانية تتحدى كل الاختزالات حتى ولو كانت قابلة لأشكال متنوعة في المكان والزمان>>⁽²⁾.

إذا بداية يعتبر الدين ظاهرة اجتماعية تميز كل المجتمعات ، فلا نتصور مجتمع بدون دين طبعاً بغض النظر عن طبيعة الدين هنا؛ فالإنسانية جمعاء لا بد لها من دين باختيارها أو بدون اختيار؛ فالدين >> بمثابة الشيفرة التي يصوغ عبرها الأفراد معرفتهم بالعالم، وطقوسهم الجماعية ونظم عقائدهم وظاهر ورعهم وتجاربهم الروحية المفارقة، فإنه يصير حشداً من الصياغات وظيفتها توضيح (الحالة) التي تسير فيها الأمور على هذا الشكل، و لكن بإمكانها أن تكون على غير ذلك، وتفسيرها ضمن نسقو وحدة، وغاية، واستمرار>>⁽³⁾.

⁽¹⁾ سليمان الخطيب، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بدون سنة، ص: 73.

⁽²⁾ ر. بودون وف بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات ونشر، الطبعة الثانية، بيروت، 2007، ص: 316.

⁽³⁾ سابينو أكوايفا، انزو باتشي، علم الاجتماع الديني، ترجمة: عزالدين عناية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الطبعة الأولى الإمارات العربية المتحدة، 201، ص: 71.

أي الدين هو في الأساس المرجع الأصلي في تفسير الأفعال الاجتماعية و التبرير المرجعي لتلك الأفعال، فهو الدافع للسلوك والاجتماع و المفسر لتلك العلاقات القائمة في المجتمع الواحد.

فالدين كما يقول دوركايم >> نسق موحد من المعتقدات و الممارسات ذات الصلة بأشياء مقدسة ،بمعنى أنها أشياء منفردة ذات حرمة. معتقدات و ممارسات تتوحد في مجتمع أخلاقي واحد يسمى دار العبادة، أفرادهم أتباع هذه الدار.<<⁽¹⁾.

على كل يعتقد كل من ماركس وفيرر ودوركايم أن الدين >>في جوهره يمثل واقعا موهما ومضللا ولكنه عظيم الأثر في الحياة البشرية ...<<⁽²⁾.

يتضح من هذين التعريفين الدور الكبير الذي يلعبه الدين في الحياة الاجتماعية فهو المحدد للسلوك والمبرر له في نفس الوقت طبعاً السلوك الاجتماعي وبناء العلاقات الاجتماعية في أي مجتمع يحددان مصير المجتمع من حالة الخمول والاضمحلال إلى التطور والرفق وبناء الحضارة والتي لا تتأتى إلا من خلال الثقافة التي تسبق البناء الحضاري .

ولذلك نجد مالك بن نبي من أهم علماء المسلمين في العصر الحديث الذي أشار إلى دور الدين والفكرة الدينية في الاستمرار الاجتماعي والنهوض

¹ - جون سكوت، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، ترجمة محمد عثمان، الطبعة الأولى، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، بيروت، ص: 203.

² - أنتوني غيدنز، علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت، 2005، ص: 578.

الحضاري والثقافي للمجتمعات فيقول >> أن الدين هو التعبير التاريخي والاجتماعي للتجارب المتكررة عبر القرون، وهو يعتبر في منطق الطبيعة أساس جميع التغيرات الإنسانية الكبرى لذلك فنحن ل نستطيع تناول الواقع الإنساني من زاوية المادة فحسب، لأن رسالة الإنسان في الحياة الاجتماعية أن يكون عاملا نفسيا زمنيا، فهو لا يؤثر فيها تبعا لوجوده الزمني فحسب، أعني تبعا لحاجاته المادية بل يؤثر طبقا لوجوده النفسي، أعني طبقا لحاجاته الروحية، وتلك حقيقة الإنسان كاملة...<<(1).

فالملاحظ لدى أغلب العلماء حتى الغير المتدينين منهم يعتبرون الدين ضرورة قصوى للوجود الإنساني والاجتماعي لما له من التأثير الكبير على السلوك الروحي و الالتزام النفسي والاجتماعي بالقيم و المواثيق و النظم الاجتماعية التي ينتمي إليه الأفراد سواء على مستوى الجماعات البسيطة أو المجتمعات الصغيرة والمعقدة.

ولذلك كان لزاما أن نبين مفهوم المجتمع الذي تحدث فيه تلك الممارسات والسلوكات الاجتماعية الخاص بكل مجتمع.

ثانيا: المجتمع

لقد أكد كثير من العلماء أن ليس هناك تعريف محدد لمصطلح المجتمع >>لأن الاستخدامات الشائعة له تشير إلى جوانب هامة من الحياة الاجتماعية، فالمعنى الأول يشير إلى مجموع العلاقات الاجتماعية بين الناس، والثاني يشير

(1) سليمان الخطيب، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، مرجع سابق، ص: 79.

إلى تجمع الكائنات الإنسانية من الجنسين ومن كل المستويات العمرية ويرتبطون معا داخل جماعة اجتماعية لها كيان ذاتي ونظامها وثقافتها المتميزة، أنه النظم الثقافية التي يتحقق عند جماعة من الناس>> (1).

هذا على العموم لا نستطيع تحديد مفهوم المجتمع لما له من مدخلات ومخرجات متعددة لا نستطيع تحديده بالضبط إلا أننا نجد من عرفه على أنه >> المجتمع بالمعنى السوسيولوجي هو شبكة من التفاعلات والعلاقات الاجتماعية التي تربط جماعة بشرية، وينجم عنها قيم ومعايير ونظم وأعراف وقوانين تنظم وتضبط حياة هذه الجماعة خلال حقبة زمنية في بيئة جغرافية...>> (2).

ويعرفه ماكيفر وييج >> هو نسق مكون من العرف المنوع، ومن السلطة والمعونة المتبادلة ومن كثير من التجمعات والأقسام، وشتى وجوه ضبط السلوك الإنساني والحريات هذا النسق المعقد الدائم يسمى المجتمع؛ إنه نسيج العلاقات الاجتماعية، وأخص صفات المجتمع أنه لا يثبت على حال>> (3).

فالمجتمع عنده ما تعارف عليه الأفراد منذ صغرهم داخل مجتمعاتهم المتعدد أو كما قلنا من قبل تلك التنشئة الاجتماعية التي يكتسبها الأفراد بصفاتهم أعضاء في المجتمع والتي بدورها خاضعة للسلطة والتبادل لعلائقي داخل المجتمع الواحد.

(1) فاروق مداس، قاموس مصطلحات علم الاجتماع، دار مدني، الجزائر، 2003، ص: 232.

(2) عبد المجيد لبصير، موسوعة علم الاجتماع، دار الهدى عين مليانة الجزائر، 2010، ص: 408.

(3) نفس المرجع، ص: 409.

والمجتمع كما يعرفه هوبهاوس >> أنه مجموعة من الأفراد تقطن على بقعة جغرافية محددة من الناحية السياسية ومعترف بها ولها مجموعة من العادات والتقاليد والمعايير والقيم والأحكام الاجتماعية والأهداف المشتركة التي أساسها الدين والتاريخ واللغة والعنصر >>⁽¹⁾.

الملاحظ أن جميع التعريفات الخاصة بالمصطلح تجمع على ضرورة إبراز وحدة العادات والتقاليد والقيم والمعايير التي يمتاز بها كل مجتمع وكل هذه المؤشرات لا تتأتى إلا من خلال الدين؛ فالدين هو المفسر والمصوغ لكل العادات والأعراف والتقاليد والمعايير والقيم وكل هذه المؤشرات إذا اجتمعت شكلت لنا ما نسميه الثقافة ومن هنا تبرز تلك العلاقة التكاملية والأساسية بين الثقافة والدين والتي سنفصلها لاحقاً.

ومن خلال تعريف الدين والمجتمع يتحتم علينا تفسير كيفية تدخل الدين في الشؤون الاجتماعية اليومية للأفراد والجماعات في المجتمع و إبراز مكانة الدين في كل هذا.

ثالثاً: المكانة

ونقصد بالمكانة المرتبة التي يحتلها الشيء بالنسبة للفاعلين الآخرين في نفس المرتبة ونفس الميدان >> وتعتبر المكانة في العلوم الاجتماعية الحديثة عن

وضع معين في النسق الاجتماعي، ويتضمن ذلك التوقعات المتبادلة للسلوك بين الذين يشغلون الأوضاع المختلفة في البناء أو النسق⁽¹⁾.

وننبه هنا أننا نتكلم على المكانة أو الوضع كما يطلق عليه آخرون وليس الدور لأنهما لا يحملان على الأقل هنا نفس المعنى.

وقد تكلمنا على مكانة الدين هنا بالنسبة لباقي النظم والأنساق المشكلة للمجتمعات المختلفة وسيأتي التفصيل في ذلك.

رابعاً: الثقافة

ظهرت الثقافة بمعناها المجازي في اللسان الألماني في القرن الثامن عشر وبدأت أنها نقل حرفي للفظ الفرنسي، كانت حظوة اللسان الفرنسي كبيرة - استخدام الفرنسية حينها كان ميزة الطبقات العليا في ألمانيا- وكذلك كان نفوذ فكر الأنوار كبيراً، وهو ما يفسر هذا الاقتراض⁽²⁾.

لغة : قد جاء في لسان العرب في المجلد العشر >> يقال ثقّف الشيء وهو سرعة التعلم ويقول ابن دريد > ثقفت الشيء أي حذقته < ؛ وفي حديث الهجرة >> هو غلام شاب لقن ثقّف< (رواه البخاري) ؛ أي ذو فطنة وذكاء، ...، والعلامة **وجدي فريد** يقول في دائرة المعارف القرن العشرين / المجلد الثاني: ثقّف يثّق ثقافة: أي

⁽¹⁾ فاروق مداس، قاموس مصطلحات علم الاجتماع، مرجع سابق، ص: 253.

⁽²⁾ دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة: منير السعيداني، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 2007، ص: 20.

حذق وفطن، وثقف العلم في أسرع مدة أي أسرع أخذه، وثقفه يتقفه ثقفا: غلبه في الحذق: صار حاذقا خفيفا وثقف الكلام فهمه بسرعة >>(1).

والثقافة كما هو معروف >> فقد عرفت عند العرب قبل الإسلام وهي متداولة في اللسان العربي الفصيح، فقد وردت وتكررت هذه الكلمة في الشعر العربي القديم،...، وتطرفت إليها معظم وأشهر معاجم اللغة العربية القديمة والحديثة، مثل لسان العرب (لابن النضر)، ومعجم مقاييس اللغة (لابن زكريا)، وأساس البلاغة (للزمخشري)، وصولا إلى المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة >>(2).

والمتتبع لكلمة الثقافة يجد أن هذه الكلمة لم تتطور من مجرد كلمة لها دلالات لغوية إلى مفهوم إلا في البحوث الغربية، وبقيت الثقافة تستعمل بدلالاتها اللغوية عند العرب حتى تطورت الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية في الغرب وبالتالي انتقل المفهوم إلى الاستعمال عند العرب، وبالرغم بأن المفهوم لم يرغب في الدراسات العربية والإسلامية ولكن تحت مسميات أخرى متعددة ليس المجال الآن لذكرها.

(1) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، الطبعة الرابعة، 2000، ص: 19.

(2) زكي ميلاد، المسألة الثقافية، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، المحمدية، الجزائر، 2012، ص: 17.

والثقافة عامة كما عرفها **تايلور** هي >>ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة والعقيدة والفن والتقاليد، وأي قدرات وعادات أخرى يتعلمها الإنسان كعضو في المجتمع <<⁽¹⁾.

وإذا كان **تايلور** أول من اقترح للثقافة تعريفا مفهوميا، فإنه لم يكن الأول تماما الذي استخدم الكلمة في الانثولوجيا، >> كان هو ذاته في استعماله الكلمة واقعا تحت تأثير المباشر لعلماء الانثولوجيا ألمان كان قد قرأ لهم، وخاصة منهم **غوستاف** كلام الذي كان يستعمل ثقافة في معنى موضوعي...<<⁽²⁾.

والثقافة في الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع هي >> التراث البشري الاجتماعي المتراكم عبر العصور الذي تتناقله الأجيال، من السلف إلى الخلف، وهو تراث يختص به الإنسان و يميزه عن الحيوان، الثقافة في هذا السياق هي كل ما أنتجه وابتكره الناس و الذي لا وجود له في طبيعتهم الفطرية بالولادة، و يكتسبه الإنسان الفرد في المجتمع عن طريق التنشئة الاجتماعية(التيقن والتعلم، والتقليد، والمحاكاة)، و ليس له وجودا أصلا في طبيعته الفطرية البيولوجية، وبتعبير آخر الثقافة هي كل ما هو مكتسب عند الإنسان بعد ولادته، وليس فطريا طبيعيا، ولا وراثيا، بالمعنى البيولوجي،...، وكما يعرفها **سبنسر**: يمكن تعريف الثقافة مبدئيا على أنها طريقة حياة المجتمع بالمعنى الواسع لكلمة حياة، وثقافة مجتمع تشمل وسائل المعيشة، اللغة، أساليب التفكير والعمل، القيم المعايير، العادات والتقاليد،

⁽¹⁾ محمد الزواوي، المقدمة في علم الاجتماع الثقافي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، 2010، ص: 149.

⁽²⁾ دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص: 31.

الشعائر الطقوس، الرموز الأعراف القوانين مختلف النظم الاجتماعية التي تضبط العلاقات بين الناس والسلوك في المجتمع الايجابي والسلبى، الجيد والرديء، الفضيلة والرذيلة، الحسن والقبیح، الصدق والكذب، الصداقة والعداوة السرقة والأمانة...>>(1).

من التعريف السابق يتضح لنا مدى صعوبة تحديد مفهوم الثقافة بدقة وكيف أن للثقافة أوجه متعددة نفسر من خلالها سلوكياتنا اليومية، وكيف أنها تحدد العلاقات الاجتماعية مسبقا داخل المجتمع من خلال التنشئة الاجتماعية للأفراد المنتمين لذلك المجتمع، ولذلك كانت الثقافة >>هي أعرض مفهوم بين كل المفاهيم المستخدمة في العلوم الاجتماعية التاريخية، فهي تضم نطاقا عريضا من الدلالات...>>(2).

والثقافة من هذا المنطلق تحدد طبيعة المجتمعات وترسم الحدود والمميزات الاجتماعية بين مختلف المجتمعات، فهي بحق تحدد الأنا الاجتماعي للأفراد، فمن خلال الثقافة نستطيع أن نميز بين مختلف الجماعات لأن كل مجتمع يختلف عن المجتمعات الباقية التي تعاصره من خلال الاختلاف الثقافي، بالرغم من أنه يظهر لنا الكثير من التشابهات الثقافية لدى هذه المجتمعات ولكن في أساس الأمر هناك تمايز بينها لا يظهر من اللحظة الأولى في دراسة تلك المجتمعات المختلفة.

(1) عبد المجيد لبصير، موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق، ص: 172.

(2) مايك فيذرستون، ثقافة العولمة، ترجمة: ع بد الوهاب علوب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2005، ص: 33.

ولذلك فالثقافة >> فقد تعني الكلمة أهم الانجازات لإثنية معينة كسيمفونيات بيتهوفن أو مسرحيات شكسبير ،وقد تعني (الثقافة) أيضا القيم العليا للفرد أو المجموعة، كثقافة الديمقراطية أو ثقافة الحب الأخوي، وقد تعني (الثقافة)أيضا الأعمال اليومية وسلوكيات الأفراد و تصرفاتهم ومشاعرهم التي يتعلمونها في مجتمعاتهم منذ الصغر>>(1).

وهذا ما يؤكد **فالرشتاين** >>...وحيث نتحدث عن السمات التي لا تعد عالمية و لاتوفيقية فإننا غالبا نستعين بمصطلح (ثقافة) لوصف هذه المجموعة من السمات أو السلوكيات أو القيم أو المعتقدات...و بهذا المعنى فالثقافة طريقة لتلخيص الطرق التي تميز الجماعات نفسها عن باقي الجماعات فهي تمثل ما هو مشترك داخل جماعة، وربما ما ليس مشتركا (أو ليس مشتركا تماما)خارجها، وهذا مفهوم واضح ومفيد تماما>>(2).

فالثقافة من هذا المنطلق تعد المفهوم الذي من خلاله نستطيع التمييز بين مختلف المجتمعات فهي لا تتعدى من مجتمع إلى آخر إلا من خلال الشطر المادي لها وهو ما يتناقله الأفراد والمجتمعات فيما بينها و التبادل الثقافي إذا لا يحدث بهذه الصفة إلا من خلال ما ينتجه المجتمعات من الاحتياج المادي للحياة الاجتماعية اليومية.

(1) دفيد إنغليز . جون هيوسون، مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة، ترجمة: لما نصر، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، الطبعة الأولى، بيروت، 2013، ص: 16.

وهذا ما يؤدي بنا إلى التساؤل حول دور الدين في نشأة الثقافة من منطلق أن الدين لا يتعدى من مجتمع إلى آخر - والثقافة كذلك - إلا من خلال تخلي مجتمع معين على ديانته السابقة واعتناقه الديانة الوافدة وبالتالي هل هو في خضم إنتاج ثقافة أخرى وفق الديانة المكتسبة الجديدة.

علاقة الدين بالثقافة:

إن البحث في العلاقة الموجودة بين الدين والثقافة، هو بحث بالغ الأهمية ويؤدي بنا في كل مرة العودة إلى حقيقة الدين ودوره في الحياة اليومية والسلوكية لدى الأفراد وإلى تلك العلاقات الاجتماعية التي تحدث داخل المجتمع من خلال الأفكار الدينية والمعتقدات المختلفة التي تميز المجتمعات وإلى مختلف الطقوس، والعمليات النفسية التي من خلالها يتم تفسير الرموز الدينية وتأثيراتها على الحياة اليومية ومجمل الاجتماع الذي يحدث بين الأفراد وكل تلك العمليات الاجتماعية التي نسميها في الأخير ثقافة.

معروف أن من الأوائل الذين أشاروا إلى وجود علاقة بين الثقافة والدين هو الشاعر والناقد الانجليزي توماس إليوت (1888-1965) الذي قدم شبه نظرية في هذا المجال، شرحها في كتابه (ملاحظات نحو تعريف الثقافة)، الصادر عام 1948، حيث أظهر الاهتمام بهذه العلاقة والدفاع عنها، والتأكيد عليها.

ولذلك يقول زكي ميلاد >> والأقرب أن إليوت كان يحاول بناء نظرية في هذا الشأن، بشأن تعميق العلاقة بين الثقافة والدين، ليكون الدين حاضرا باستمرار

بروحانيته وتراثه وتاريخه في كل محاولة لتعريف الثقافة، أو تكوين فكرة عنها <<(1).

نلاحظ أن **إليوت** ربما أراد أن يقول أنه لا يمكننا بحال من الأحوال إخراج الدين من حياتنا اليومية ومن سلوكياتنا الاجتماعية ، فمكانته تستدعي ربط كل فعل اجتماعي أو سلوك يومي بمقتضيات دينية وتفسيرات عقائدية تحدد لنا في نفس الوقت مسار تلك الأفعال مهما كانت بسيطة، إلى تلك الأشد تعقيدا في الحياة الاجتماعية للمجموعات والمجتمعات على حد سواء. وقد حاول زكي ميلاد أن يحدد معالم نظرية **إليوت** (الدين . الثقافة) من خلال الأبعاد والملامح الآتية:

1- كل ثقافة ظهرت كانت إلها بجانب دين:

طبعاً هذا البعد يشترك فيه الكثير من العلماء الانثروبولوجيين وكذا علماء الاجتماع أنه ليس هنا ثقافة نشأة بدون الفكرة الدينية، لأنه لا يتصور اجتماع إنساني معين مهما كان بسيطاً، إلا و كانت الفكرة الدينية حاضرة وهي المشكل الأساسي والأول للاجتماع، وفي هذا الجانب يقول **إليوت** <لم تظهر ثقافة ولا نمت إلا بجانب دين، ومن هنا تبدو الثقافة نتيجة من نتائج الدين، أو الدين نتيجة من نتائج الثقافة، طبقاً لوجهة نظر الناظر>>(2).

(1) زكي ميلاد، المسألة الثقافية، مرجع سابق، ص: 120.

(2) نفس المرجع، ص: 122.

2. خطأ الانفصال وخطأ المطابقة:

هنا يؤكد **إليوت** إذا ما أردنا فهم نظرية الدين والثقافة >> يجب أن على تجنب الخطأين المتعاقبين: خطأ جعل الدين والثقافة شيئين منفصلين بينهما علاقة، وخطأ المطابقة بين الدين والثقافة <<⁽¹⁾.

ولذلك نجد **علي عزت بجوفيتش** يتكلم على علاقة الدين بالثقافة فيقول >> الثقافة هي تأثير الدين على الإنسان أو تأثير الإنسان على نفسه... والثقافة هي الخلق المستمر للذات...<<⁽²⁾.

3. المجتمعات البذائخ و التوافق الكلاخ بين الثقافة و الدين:

يرى **إليوت** أن التوافق بين الدين والثقافة إنما يحصل في المجتمعات التي يمكن وصفها بالبذائية ، و يبقى هذا التوافق حسب رأيه في مستوى اللاوعية. ولكن هل حقيقة هذا ما حدث فعليا أم أن مسألة التوافق لازالت قائمة إلى اليوم ولو على مستوى اللاوعي كما يقول **إليوت** .

وهذا ما تكلم عليه **ماكس فيبر** عندما تكلم عن العقلنة والنموذج المثال الذي اشتهر بهن فلم تستطع المجتمعات أن تتجاوز الدين في حياتها الاجتماعية وبالتالي في صياغاتها الثقافية بالرغم من هيمنة العقلنة على الصناعة الاجتماعية وتطور السلوك الإنساني ولذلك هناك ضمن نظرية فيبر للنشاط >> لإشكالية الاستقلالية التي هي في الغالب غير معروفة: إذ كانت عقلنة العلاقات الاجتماعية

⁽¹⁾ نفس المرجع السابق، ص: 123.

⁽²⁾ علي عزت، بجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة: محمد يوسف عدس، مؤسسة العلم الحديث، الطبعة الأولى بيروت، 1994، ص: 94.

إجراء مزدوجا، والذي هو، بعيدا على إضعاف التقاليد... ولذلك توضح السوسيولوجيا الفيبيرية للدين على وجهين الحدود المنيعة لعملية عقلنة النشاط الاجتماعي أولا، حتى وإن كانت تحولات الكيانات الكونية الكبيرة تخضع لضغوطات قوية للعقلنة، (نسقية المعتقدات، عقلنة الطقوس، برقرطة رجال الدين، الخ)... من جهة أخرى، فإن تحولات الوعي الديني لا تتبثق فقط من المنطق الداخلي للعقلنة... <<(1).

فلا يمكن بحال من الأحوال وخاصة في عصرنا الحديث، فصل الدين عن المشهد الثقافي العام في الحياة الاجتماعية رغم التطور والعقلنة والازدهار، فالدين من وجهة نظر فيبير هو الأساس حتى وإن لم يظهر أحيانا كمؤثر مباشر على السلوك الاجتماعي و الصناعة الثقافية للمجتمع.

4 - وحدة الدين وتعدد الثقافات بين الشعوب المختلفة:

الوحدة الدينية حسب رأي إليوت كالانقسام الديني، يمكن أن يتفق كل منهما مع ازدهار الثقافة أو انحلالها، فالدين الواحد قد يساعد على تبادل التأثير بين الثقافات المتعددة بما يفيد كلا منها ويساهم في تنميتها والمحافظة عليها <<(2).

⁽¹⁾ فيليب راينو، ماكس فيبر و مفارقات العقل الحديث، ترجمة: محمد جديدي، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى الجزائر، 2009 ص1، ص2:199.

⁽²⁾ زكي ميلاد، لمسألة الثقافية، مرجع سابق، 123.

5 - تكوين دين هو تكوين ثقافة كذلك:

يبرهن **إليوت** على هذه الفكرة أنه حين ينقسم الدين فرقا وتنمو هذه الفرق من جيل إلى جيل تنتشر نتيجة ذلك ثقافات متنوعة، وذلك بسبب العلاقات التي يصفها **إليوت** بالوثيقة بين الدين والثقافة⁽¹⁾.

وهذا في كثير من المجتمعات واضح في الفعل الذي يقوم الدين به في عملية تشكيل ثقافات محلية داخل المجتمع الكبير أو ما نسميه بالثقافة الفرعية التي تتشكل من خلال الانتماء إلى فرق دينية معينة ظهرت أصلا من خلال الدين الذي يسود في مجتمع ما.

6- الدين قوة رئيسية فاعلة خلق ثقافات مشتركة بين شعوب متعددة للثقافات:

من خلال مدافعتة عن المسيحية خاصة والدين عامة، يؤكد **إليوت** على مكانة الدين في المجتمع، وكيف لعبت المسيحية خاصة في أوروبا دورا هاما في صناعة العناصر الثقافية المشتركة، من خلالها تطورت أوروبا وأصبحت ما هي عليه الآن.

7 - نقد فكرة أن الثقافات أشمل من الدين:

هنا نجد **إليوت** ضد فكرة أن الثقافة أشملا من الدين، خاصة ما ذكره **ماثيو آرلوند** (1822.1888) في كتابه الثقافة والفوضى؛ حيث يؤكد **إليوت** على أن **ماثيو** لم يحس بتقييم دور ومكانة الدين في التأثير على تشكل الثقافة، كما يقول

زكي ميلاد >> في الوقت الذي وجد فيه آرلوند نفسه في موقف الدفاع عن الثقافة، وجد إليوت نفسه في موقف الدفاع عن الدين <<(1).

من خلال شرحنا للمفاهيم السابقة نستطيع القول أن عملية البحث عن المكانة التي يحتلها الدين في صناعة السلوك الاجتماعي للأفراد والجماعات على حد سواء، وعلاقته بالثقافة وكيف يؤثر في تشكيلها، وبما أن الدين يدخل في البنية التكوينية للأفراد والجماعات ويحدد مسبقا سلوكياتهم وتفسيراتهم لمختلف السلوكيات والعلاقات التي تحدث بين الأفراد والمجموعات ساء كانوا واعين به أو في اللاوعي من خلال البناءات النفسية المسبقة التي يتعلمونها من خلال ما نسميه بالتنشئة الاجتماعية، فهذه الأخير يتلقاها الأفراد منذ صغرهم وتصبح مع الوقت هي المحدد للسلوك والفعل الاجتماعي (كيف يحدد السلوك الايجابي والسلوك السلبي)، والذي يحدده الدين والاعتقاد الديني أولا ثم الثقافة المنتجة في ذلك المجتمع، وبالتالي تتحدد مكانة الدين في المجتمع من خلال تلك الأفعال والسلوكيات الاجتماعية ومدى مطابقتها مع الاعتقاد الديني السائد في المجتمع، ومدى تأثير ذلك الاعتقاد في الصناعة الثقافية في الفلسفة الحياتية للأفراد والجماعات داخل المجتمع .

فنستطيع القول أن مكانة الدين في مجتمع ما تتحدد بمدى التزام ذلك المجتمع بالتدين، والدور الذي يلعبه الاعتقاد الديني في الأفراد ومدى تأثير التعاليم الدينية في العمليات الاجتماعية وخاصة عملية التنشئة الاجتماعية التي تبدأ مع الأفراد منذ الولادة إلى غاية الموت.

(1) نفس المرجع، ص: 125.

فكلما كانت مكانة الدين في المجتمع كبيرة كان له دور فعال في نشأة وتطور الثقافة الخاصة بالمجتمع، وكلما كانت التنشئة الاجتماعية مطعومة بالفكر والاعتقاد الديني (التجربة الدينية) كان للدين دورا هاما وحاسما في نشأة وتطور الثقافة.

وبالتالي يمكن القول أن مكانة الدين في مجتمع ما تتحدد من خلال الممارسة الدينية للأفراد - الجماعات ومدى انعكاس الاعتقاد الديني على تلك الممارسات التي تتجلى في الأفعال والعلاقات الاجتماعية المختلفة في الحياة اليومية.

وهذا ربما ما قصده ماكس فيبر عندما >> قاده تركيزه على الأديان الرئيسية في العالم إلى دراسة مجموعة واحدة من منتجي الثقافة (في المجتمع) وهم طبقة رجال الدين، وكذلك الوسائل التي استخدمتها هذه الطبقة في إنتاج الأفكار الدينية...<<⁽¹⁾.

من هنا تتضح أكثر علاقة الدين بالثقافة وهي علاقة توافقية متكاملة من خلال تطعيم الثقافة بالرموز والدلالات الاجتماعية المختلفة التي يوفرها الدين والاعتقاد الديني، في التطور الثقافي وحتى الحضاري.

⁽¹⁾ دفيد إنغليز . جون هيوسون، مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة، مرجع سابق، ص: 279.

المصادر والمراجع :

- 1- دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة: منير السعيداني، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 2007.
- 2- أنتوني غيدنز، علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى ، بيروت، 2005.
- 3- جون سكوت، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، ترجمة محمد عثمان، الطبعة الأولى الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.
- 4- دفيد إنغليز . جون هيوسون، مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة، ترجمة: لما نصر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، بيروت، 2013 .
- 5- ر. بودون وف بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات ونشر، الطبعة الثانية، بيروت، 2007.
- 6- فاروق مداس، قاموس مصطلحات علم الاجتماع، دار مدني، الجزائر، 2003.
- 7- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة ، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، الطبعة الرابعة، 2000.
- 8- زكي ميلاد، المسألة الثقافية، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، المحمدية، الجزائر، 2012.

- 9 - سابينو أكوافيفا، انزو باتشي، علم الاجتماع الديني، ترجمة: عزالدين عناية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الطبعة الأولى الإمارات العربية المتحدة. 2010
- 10 - سليمان الخطيب، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بدون سنة.
- 11 - عبد المجيد لبصير، موسوعة علم الاجتماع، دار الهدى عين مليلة الجزائر، 2010.
- 12 - علي عزت، بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة: محمد يوسف عدس، مؤسسة العلم الحديث، الطبعة الأولى بيروت، 1994.
- 13 - فيليب راينو، ماكس فيبرو مفارقات العقل الحديث، ترجمة: محمد جديدي، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى الجزائر، 2009 .
- 14 - مايك فيذرستون، ثقافة العولمة ، ترجمة: عبد الوهاب علوب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2005.
- 15 - محمد الذواذي، المقدمة في علم الاجتماع الثقافي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى، بيروت، 2010.